

أَوَّلُ (الْحَنَفَاءِ)

ح ن ف



﴿ حَنَفَاءُ لِلَّهِ ﴾
الحج/ ٣١

بُنِيَتْ حَنِيفِيَّةُ "المصريّين القدماء"



على خمس :

- التوحيد .
- الصلاة .
- الزكاة .
- الصيام .
- الحج .

دكتور نديم السيار

المصريون القدماء

أول

(الحُنفاء)

الطبعة الأولى

الناشر : المؤلف .

تليفون وفاكس : ٦٤٢٧٣١١

e-mail : NadeemElSayer@hotmail.com

جميع الحقوق المتعلقة بالطبع والنشر محفوظة للمؤلف ... ولا يجوز الاقتباس أو النسخ
أو التصوير أو نقل أو الترجمة إلا بعد الحصول على إذن كتابي من المؤلف ..

ملاحظة : (١) تصميم الغلاف وجميع التصويرى للمين : المؤلف .

.. جميع كتب المؤلف توزع "الأهرام" ، وتوجد في "مكتبات الأهرام" ..

- وكذلك في مكتبة "دار حراء" (٣٣ ش. شريف / القاهرة) - .

إهداء

إلى رفيقة ذُرْبِ العُمَر .
وأحبّ الناس وأقربهم إلى قلبي .
المرحومة نبيلة عبد الشافي إبراهيم .
شقيقتي ...



مقدمة

- بدأ الدين بالإسلام .. واختتم بالإسلام .
- وقد بدأ في مصر - منذ ما قبل عصور الأسرات - على يد النبي المصري إدريس الخطيب .
- وكانت تلك الديانة تُسمى (الصابئة) - كما توصف بـ (الخيفية) - .. وهي ذاتها (الإسلام) .
- وكان قدماء المصريين .. أوّل (المسمنين) ..

* *

نعرف أن الجرعة - في هذا البحث - ثقيلة .. والصدمة الفكرية عاصفة .. والموضوع في حد ذاته جدّ خطير .
خاصّةً وأن الشائع لدى الناس أن أولئك "المصريين القدماء" ، كانوا مُشركين وثنيين لا يعرفون "إله الواحد" .. ويكفي قصّة "فرعون موسى" وحدها لتلوّث كلّ تاريخهم ! - .
ولذا ، كان من الضروري الرّد أولاً على هذا الإفتراء .. الذي أشاعه وروّج له اليهود منذ القدم ، ثمّ نبّهته الجهل بالكثير من حقائق التاريخ المصري وعدم الفهم للكثير من تفاصيل عقائدهم .
وعلى هذا فمنا بإيضاح حقيقة إيمانهم وتوحيدهم .. وذلك في كتاب أصدرناه عام (١٩٩٥م)^(١) ، بعنوان : (قدماء المصريين أوّل الموحّدين) .

ومن التعليقات على ذلك الكتاب :

~ في جريدة الأهرام (٩٥/٦/١٠ م) .. كتب الدكتور/ مصطفى محمود مقالاً ، ميّناً فيه :
[كتاب "قدماء المصريين أوّل الموحّدين" للدكتور نديم السّيار .. كتاب يسدّ فجوة في الثقافة الموجودة ، ويخبر عن الخطأ الشائع الذي روّجته اليهوديّة بأن الحضارة المصريّة القديمة كانت حضارة وثنيّة ، تعبد الأصنام والآلهة المتعدّدة ولا تعرف التوحيد .. وأن النبي موسى هو أوّل من دعا للتوحيد بين المصريين الوثنيين ، وأن فرعون الخروج هو "رئيس" الملك المصري الوثنيّ .]
.. والكتاب يُثبت بالدليل القاطع .. أن "فرعون الخروج" لم يكن رئيس ولا مفتاح ولم يكن مصريّاً بالمرّة ، وإنّما كان سادس ملوك المكسوس .. وأن الأنبياء (إبراهيم وإسماعيل ويعقوب ويوسف) كلّهم نزلوا مصر في عصر المكسوس ، وكانت دعوتهم إلى "التوحيد" إلى هؤلاء المكسوس الوثنيين ، وليس إلى المصريين .. وأن الحضارة المصريّة "الموحّدة" كانت تبع الحكمة الذي استقى منه "إبراهيم" أبو الأنبياء

(١) وصدرت الطبعة الثانية ، عام (١٩٩٧ م) . وتعدّ حاليّاً طبعة ثالثة تستعِدّ خلال شهور .. والكتاب توزع "الأهرام" - .

وأبنائهم ، الديانة الإدريسية (الحنيفية) الصافية ، فقد درس إبراهيم وهو في مصر أصول الحضارة المصرية ، وقرأ صحف النبي إدريس ، ولم تنزل عليه الرسالة إلا بعد ذلك وهو في سن الخامسة والثمانين .. وقد دخل "التوحيد" مصر على يد النبي "إدريس" ، قبل أن يدخل الجزيرة العربية على يد النبي الخاتم محمد (ص) بخمسة آلاف سنة .. وما أسماء "آمون ورع" وبتاح وأنيوس إلخ" إلا أسماء لشخص (ملأه) ولكن كانت من الملاء الأعلى ، وكلهم يدين بالخشوع لرب واحد لا إله إلا هو . إلخ]

كما قام سيادته بعمل حلقة في برنامج (العلم والإيمان) عن هذا الكتاب ، وقد أذيعت في ٩٥/١٢/٢٥ م .

- وفي الصفحة الأخيرة من جريدة "أخبار اليوم" (٩٥/٦/٣ م) ، كتب الأستاذ/ صلاح منتصر مقالاً كاملاً حول أحد فصول الكتاب - وهو الخاص بفرعون موسى - ومما جاء فيه : [والبحث الذي قدمه الدكتور نديم السيار ، معتمد على القرآن والإنجيل والتوراة والمراجع والمنطق .. جيد ، يُسبِّح من بقاءه بصحة النظرية التي توصل إليها بالنسبة لفرعون موسى - وأنه ليس مصرياً وإنما من ملوك افكسوس - .. وهو صاحب أقوى الحجج والبراهين في إثباتها .]

- وانظر أيضاً المقالات التي كُتبت عنه في : الصفحة الدينية بالأهرام (٩٥/٤/٧ م) .. وجريدة الأخبار (٩٥/٤/٥ م) .. وجريدة الجمهورية (٩٥/٥/٤ م) .. وجريدة الوفد (٩٥/٥/٢٠ م) .. وجريدة حديث المدينة (٩٥/٥/١٧ م) . إلخ

وكذلك في مجلة (العربي) الكويتية (عدد ٤٨٧ / يونيو ١٩٩٩ م) - من (ص ١٠١ حتى ١٠٦) - . إلخ

- وفي مجلة (روز اليوسف) عدد ٣٧٥١ : [كتاب (قدماء المصريين أول الموحدين) للدكتور نديم السيار ، الذي هو نقطة تحول في مفاهيم المصريين ، هذا الكتاب المؤثق الذي يجب أن يُقرَّر على المدارس والجامعات حتى يعود لمصر وجهها المشرق الحضاري . إلخ]

- وفي جريدة الأهرام (٩٥/٤/٤ م) ، كتب الأستاذ سامح كريمة مقالاً جاء فيه : [.. وكتاب "قدماء المصريين أول الموحدين" للدكتور نديم السيار ، يثبت أن قدماء المصريين لم يعبدوا - سوى الله منذ قبل الأسرات ، بالحق والدليل .]

*

ثم جاء دور الحديث عن تفاصيل ديانتهم .
فكان كتابنا هذا : (المصريين القدماء أول الحنفاء) .

ولسوف نكتشف أن تلك الديانة المصرية "الإدريسية" ، هي ذاتها - وبكُل تفاصيلها - ديانة النبي إبراهيم : (الحنيفية) .

ولخطورة الأمر ، وحساسيته المفرطة ، كان لزاماً علينا أن نحاول بكل الجهد أن نوثق البحث حقاً .. زمناً ، ودراسةً ، وحياداً .

أما من حيث "الزمن" .. فلم يكن بالكثير ما أنفقناه من العمر - أكثر من (٢٣) سنة بدءاً من عام ١٧٩٠م - في عمل متواصل .. فمثل هذا البحث - بتشعبه وتفرعاته ونُدرة مصادره - يحتاج لأضعاف ذلك ، لولا أن للأعمار حدود .. فليغفر الله لنا إن كان ثمة تسرع أو تقصير .
وأما من حيث "الدراسة" .

فإلى جانب العديد من المراجع - في مختلف فروع المعرفة التي يحتاجها البحث - .

• كان لزاماً علينا أولاً دراسة "اللغة المصرية القديمة" ، فهي ركيزة أساسية ومحيورية ، وهو ما بدأناه - وما زلنا - منذ ما يقرب من ربع قرن .. ثم كانت ضرورة استكمالها بدراسة "اللغة القبطية" دراسة أكاديمية في أكبر المعاهد العلمية تخصصاً في هذا المجال - (معهد الدراسات القبطية) .. ذلك المعهد الذي أتيح لي فيه أيضاً دراسة "اللغة اليونانية" و "اللغة العبرية" على أيدي أساتذتها المتخصصين ، وهما من ألزم الأمور لبحثنا هذا .

- ذلك إلى جانب ضرورة الإلمام باللغة "الأكديّة" ثم السريانية "الآرامية" ثم السبئية "لغة اليمن القابضة" إلخ ..

• ثم لأن الديانة "الحنيّفة" وثيقة الصلة بـ (الإسلام) .. لذا ، كان من الحتم دراسة العلوم الإسلامية دراسة أكاديمية ، وهو ما تيسّر لنا في جامعة الأزهر الشريف حيث أتيح لنا دراسة تلك العلوم الإسلامية (من تاريخ وفقه وشريعة . إلخ) على أيدي أساتذتها الأجلاء .

- وقد حرصنا على الالتحاق بالدراسة في "الأزهر" و "معهد الدراسات القبطية" في نفس الوقت ، عام ١٨٩٠م ..
أما "الديانة اليهودية" ، فلم يتيسّر لنا دراستها إلا من خلال المراجع والكتب .

• ثم لأن ديانة النبي إدريس - كما تذكر جميع المراجع - كانت تسمّى (الصابئة) .. كما تذكر تلك المراجع أيضاً أن هنالك طائفة من بقايا أتباع هذه "الديانة الإدريسية" مازالت باقية في أقصى جنوب العراق "على الحدود الإيرانية" ، ولأن المعلومات عن هذه الطائفة في جميع المراجع ضبابية متضاربة إلى جانب ندرتها أصلاً .. لذا ، كان علينا التحرك لدراستهم ميدانياً ، فكان السفر للعراق عام ١٨٥٠م ، حيث أتيح لنا معايشتهم لفترة كافية لدراسة أفكارهم ومعتقداتهم وشعائهم . إلخ ، إلى جانب تجميع كلّ ما تيسّر لنا من مراجع كُتبت خصيصاً عنهم في مختلف اللغات . إلخ

هذه بعض "الأدوات" التي اعتمدنا عليها في "بحثنا" هذا .. والإعتماد أولاً وأخيراً على الهادى سبحانه .. فإنه الحق ، ومُعِين الباحثين عن الحقيقة .

* *

د.تدويم السيار

القاهرة/ في أغسطس ٢٠٠٢م

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا ، أَوْ أَخْطَأْنَا .﴾

الباب الأول

إدريس

نبيّ المصريين القدماء

هل كان للمصريين القدماء .. (أنبياء) ؟؟

يقول تعالى ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ (نَبِيٍّ) فِي "الْأُولَئِينَ" . ﴾ - الزمر/٦١

﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ .. إِلَّا خَلَا فِيهَا (نَذِيرٌ) . ﴾ - طه/٢٤

وفي التفسير: [يقول تعالى للنبي ﷺ: "إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ" أى إنما عليك البلاغ والإنذار .. وقوله: (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) أى: وما فى أمة خلت (= سبقت) من بنى آدم إِلَّا وقد بعث الله تعالى إليها النذير.]^(١)

ويقول تعالى أيضاً: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ .. (رَسُولٌ) . ﴾ - يونس/٤٧

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ (رَسُولًا) .. أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ . ﴾ - النحل/٣٦

وفي التفسير: [وبعث الله فى كل أمة - أى: فى كل قَرْنٍ وطائفة من الناس - (رسولا) .. وكلهم يدعون إلى عبادة الله ويهتدون عن عبادة سواه.]^(٢)

• إذن - وبصّ القرآن الكريم ذاته - ما من (أمة) من الأمم إِلَّا وقد بعث الله إليها (رسول) .
فما بالنا بتلك (الأمة المصرية) .. التى كانت أقدم (الأمم) على الإطلاق .. والتى يرجع تاريخها وحضارتها إلى عصور ما قبل التاريخ .. مُمتدّاً على مدى آلاف السنين .

لا شكّ إذن ، أن الله سبحانه قد أرسل إلى تلك (الأمة المصرية) .. (رُسُلًا) و(أنبياء) .

كما نجد ما يؤكد هذا في تراث (المصريين القدماء) أنفسهم .. إذ يذكرون أن كل "العنوم" - الدينية والدنيوية - قد جاءتهم (وَحْيًا من السماء) .. عن طريق (رُسُل) .
يذكر د. أحمد بدوي : [كان (عِلْمُ) المصريّين - في اعتقادهم - مُرجّعه إلى السماء .. جاءهم به (رُسُل) من حُكماء الماضي .^(١)]

ويذكر الإمام/ محمد أبو زهرة : [بيد أنه يجب علينا أن نعتقد أن دعوات (إلى التوحيد) الخالصة لعبادة (إله واحد) - فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد - .. قد توارثت على العقل المصري .. وبعيد أن تنفي تماماً عن المصريّين في مدى خمسة آلاف سنة - ازدهرت فيها حضارتهم ونمت - .. أن تكون قد وردت عليهم عقيدة (التوحيد) .. بدعوة من (رسول) مُبين .^(٢)]

*

أما .. من هم أولئك (الرُسُل) بالتحديد ؟؟ .. وما هي أسماؤهم ؟؟
فليس من الحُتم أن نجد ذلك في الكتب السماوية - كالقرآن الكريم - .

يقول تعالى :

﴿ ولقد أرسلنا (رُسُلًا) من قبلك .. ﴾

منهم مَن قصصنا عليك .. ومنهم مَن لَم نَقصص عليك . ﴿ غافر ٧٨ ﴾

وفي التفسير : [ومنهم مَن لم نقصص عليك : وهم أكثر مَن ذُكر بأضعاف أضعاف .^(٣)]
ويؤكد القرآن الكريم هذه الحقيقة في آية أخرى :

﴿ و(رُسُلًا) قد قصصناهم عليك من قبل .. و(رُسُلًا) لَم نقصصهم عليك . ﴿ النساء/ ١٦٤ ﴾

إذن .. فهناك (رُسُل) عديدون لم يأتِ ذِكرهم في القرآن الكريم .
ولا شك أن منهم الكثير مَن أرسلهم الله سبحانه إلى (الأمّة المصرية) .. على مدى آلاف السنين في تاريخها الطويل الطويل .

ومع ذلك .. فهناك مَن ورد ذِكرهم في "القرآن الكريم" .

أحد أولئك الأنبياء المصريين .

ألا وهو .. نبيّ الله (إدريس) عليه السلام .

﴿ واذكر في الكتاب (إدريس) .. إنه كان صِدِّيقًا نَبِيًّا) . ﴿ مريم/ ٦٥ ﴾

*

(١) تاريخ الفريضة والتعاليم في مصر القديمة: ١٦٠٠/١ - مقارنة الأدب/ ١/ ٨٧٧

(٢) تفسير ابن كثير ٨٩: ٤٠

ويذكر العلماء أن النبي "إدريس" ... هو نفسه (أخنوخ) المذكور في التوراة^(١).

● ففي كُتب التفسير - على سبيل المثال -

يذكر الطبرسي: ["واذكر في الكتاب إدريس" .. واسمه في التوراة (أخنوخ)]^(٢)

ويذكر الألوسي: ["واذكر في الكتاب إدريس" .. وهو (أخنوخ)]^(٣)

ويذكر البيضاوي: ["واذكر في الكتاب إدريس" .. واسمه (أخنوخ)]^(٤) [إلخ إلخ^(٥)]

● وكذلك في كُتب "قصص الأنبياء"^(٦) .. وكذلك أيضاً عند المؤرخين :

يذكر الطبري: [(و) أخنوخ (هو "إدريس" إلخ .. وفي "التوراة" أن الله رفع "إدريس" إلخ]^(٧)

ويذكر ابن الأثير: [(و) أخنوخ (هو "إدريس" عليه السلام .]^(٨)

ويذكر القفطي: [وقالوا هو عند العبرانيين اسمه (أخنوخ) .. وسماه الله في كتابه المبين "إدريس"]^(٩)

ويذكر ابن جُلجل: [ويذكر العبرانيون أنه (أخنوخ) ، وهو بالعربية "إدريس"]^(١٠) [إلخ]^(١١)

ويذكر ابن أبي أصيبعة: [ويذكر العبرانيون أن (أخنوخ) هو بالعربية "إدريس"]^(١٢)

وكذلك يذكر المسعودي^(١٣) والذهبي^(١٤) وأبو الفيد^(١٥) وابن سعد^(١٦) والكلبي^(١٧) وابن العري^(١٨) إلخ

● وتذكر دائرة المعارف اليهودية: [وفي الإسلام .. النبي المسمى "إدريس" - المذكور في القرآن - قد تحقّق

المفسّرون والشّراح من أنه (أخنوخ) المذكور في التوراة (تك/٥: ٢٢-٢٥) .. وقد صوّر المسلمون عبقائه

وخصائصه المحفوظة في كتاب "الهاجاده" اليهودي ، وكما وُجد أيضاً عند "ابن سير" و"يوسيفوس"]^(١٩) [إلخ]^(٢٠)

وفي دائرة المعارف الإسلامية: [إدريس : ويذهب مؤلفو المسلمين إلى أنه هو (أخنوخ) المذكور في التوراة]^(٢١)


وفي دائرة معارف البستاني: [وإدريس في العبرانية (أخنوخ) ، ويقول العرب أنه هو نفس (أخنوخ)]^(٢٢)

【 وسار (أخنوخ) مع الله .. إلخ] - تكوين/٥: ٢٤


*

- | | |
|--|---|
| (١) أنظر : سفر التكوين/٥: ٢٤-٢٤ | (٢) مجمع البيان/٣/٥١٩ |
| (٣) روح المعاني/١٦/٩٦ | (٤) أنوار التنزيل/٣/١٦٣ |
| (٥) وأنظر أيضاً : الكشف/فرعش/٢/٢٢٧ و : تفسير الفخر الرازي/٤/٣٨٧ و : الجامع/القرطبي/١١/١١٧ و : تفسير غرائب القرآن/الشيخسبزواري/١٦/٥٧٦ و : البحر المحيط/أبو حيان/٦/١٩٨ و : ثياب التوبل/الحازن/٢/٢٣٤ و : تفسير النسفي/٢٣٤ | (٦) أنظر : قصص الأنبياء/ابن كثير/١/٨٨ و : المعاني/الشمس/٢٩ و : قصص الأنبياء/ع. النعلاوي/٢٤ و : مع الأنبياء/جريدة-٥٦ إلخ |
| (٧) تاريخ الطبري/١١/١٢٠ | (٨) الكامل/١/٢٥ |
| (٩) إخبار العلماء/ص ٢ | (١٠) طبقات الأقطاب/ص ٥ |
| (١١) عبود الأنبياء/ص ٢٢ | (١٢) مروج الذهب/١/٣٩ |
| (١٣) الأخبار الطوال/ص ١ | (١٤) المختصر/١/٩ |
| (١٥) الطبقات الكبرى/١/٥٤ | (١٦) الأصنام/٦٤ |
| (١٧) تاريخ ختصر الدولة/ص ٧ | (١٨) تاريخ ختصر الدولة/ص ٧ |
| (١٩) مع ٤٢/١ | (٢٠) مع ٦٧١/٢ |

كما أن من ألقاب النبي "إدريس" أيضاً .. اللقب : (هرمس) .

ويُكتب اسمه باخبروغليفيّة : () (هرمس)^(١) .
وانتقل إلى الإغريق "اليونان" في صيغة : (ῥωμαίος) (هرمس / Hermes)^(٢) .
كما انتقل إلى "الفرس" في صيغة : (هُرمز)^(٣) .

ويذكر القبطي : ["إدريس" النبي صَلَّى الله عليه وسلّم .. وُلِدَ بمصر .. وسَمَّوه : (هرمس) .]^(٤)
ويذكر ياقوت الحموي : [وحكى ابن زولاق : إلخ .. و (هرمس) هو "إدريس" النبي .]^(٥)
ويذكر المؤرخ الأثرى / أحمد نجيب : [وقال المقرئى نقلاً عن صاعد اللغوى من كتاب "طبقات الأمم" : أن (هرمس) الساكن بصعيد مصر الأعلى .. هو (إدريس) عليه السلام .]^(٦)
وانظر أيضاً : تفسير التيسابورى / ٥٧/١٦ و : روح المعاني / الألويسى / ٣٠٦/١٦ و : فضائل مصر / ابن زولاق / ١٧ و ٧٠ و : الملل والنحل / الشهرستانى / ٤٥/٢ و : دائرة معارف البستاني / ٦٧١/٢
ويذكر المسعودى : [و (إدريس) النبي صَلَّى الله عليه وسلّم .. تقول (الصابئة) أنه (هرمس) .]^(٧)
ويذكر ابن حزم : [وُلِدَ الصابئين (شرائع يسندونها إلى (هرمس) ، ويقولون إنه (إدريس) .]^(٨)

وكان المصريون يُلقّبونه بـ () (عا . عا . عا . ور) .. أى : (العظيمة العظيمة العظيمة ثلاثة)^(٩)

وقد انتقل هذا اللقب أيضاً إلى اليونانية ، في صيغة : (τριμεγιστος / تريس ميجستوس) = مثلث العظمة^(١٠)
وفي دائرة المعارف البريطانية (٨٧٥/٥) :

[the Egyptian-Greek (Hermes Trismegistos) = Hermes the Thrice-Greatest]

وتذكر أيضاً : [Hermes Trismegistos : واللقب "تريسميجستس" يعنى بالإغريق (ثلاث عظماء / العظم ثلاثا) .. وهو يُشير إلى تطوّر من المصرى : (aa aa / عا . عا .) بمعنى (great , great) أى (greatest / الأعظم) .. وقد وُجِدَ هذا اللقب "الكُنية" فى الميروغليفيّة المتأخرة .]^(١١)

• كما انتقل هذا "اللقب الإدريسي" إلى العرب الذين استشهدوا فى محاولة تفسيره .. فنقلوا :
ياذكر ابن العري : [والأقدمون من اليونان يقولون أن "أخنوخ" هو (هرمس) ، ويُلقّب "تريسميجستيس" أى (ثلاثي التعليم) .. والعرب تسمّيه (إدريس) .]^(١٢)
ويقول ابن تيمية : [ومن مصر جماعة الحكماء كـ (هرمس) ، وهو المثلث بالنعمة : (نبى وحكيم ومَلِك) .. وهو (إدريس) النبي عليه السلام .]^(١٣)
ويذكر القبطي : [هرمس المصرى : وهو الذى يسمّى (المثلث بالحكمة) . إلخ]^(١٤)

(1) An Egyptian Hieroglyphic Dictionary . Wallis Budge , P. 445

(2) The Encyclopædia Britannica , Vol.5 , P. 875

(٣) أنظر : قاموس لفارسية . د. عبد النعم حسين / ٨٠٣ .. وفى دائرة المعارف الإبراهيمية (برهان فاطمى) ص ٢٣٢٥ : [هُرمز : وباعتقاد يونانيان نام إدريس بيفرموست .] .. وترجمته : [وباعتقاد اليونان أنه "إدريس" الرسول .]

(٤) إخبار النساء بأخبار الحكماء ص ١

(٥) معجم البلدان / ٤٠١/٥

(٦) الأثر الجليل لقدماء وادى النيل ٢٣٠

(٧) مروج الذهب / ٣٩/١١

(٨) الفصل فى المل والأموه والنحل / ٣٥/١١

(٩) تاريخ مختصر الملوك ص ٧

(١٠) The Encyclopædia Britannica . Vol.11 . P. 505

(١١) الفضائل الباهرة ٨٥

(١٢) إخبار العلماء / ٢٢٧/١٤



هرمس "مثلت العظمة"

إدريس عليه السلام

(١)

إدريس .. (المصري)

وعن كونه (مصري) .. ومُرسل من الله إلى (المصريين) :

يذكر القفطي : ["إدريس" النبي صَلَّى الله عليه وسلم .. قد ذكر أهل التواريخ والقصص وأهل التفسير من أخباره .. إلخ .. وقد وُلِدَ بِـ (مصر) .]^(١)

ويذكر القرمانلي : [و "إدريس" عليه السلام كان نبياً عظيماً .. وقد وُلِدَ بِـ (مصر) .]^(٢)

وفي دائرة معارف البستاني : [وأما ترجمة "إدريس" على قول العرب .. فهي أنه كان نبياً عظيماً .. وُلِدَ بِـ (مصر) .]^(٣)

ويذكر الألويسي : [وكان "إدريس" قد وُلِدَ بِـ (مصر) .]^(٤)

ويذكر ابن ظهيرة : [فصل في ذِكر مَنْ وُلِدَ بِـ (مصر) وَمَنْ كان بها من الأنبياء : إلخ .. ومنهم "إدريس" النبي عليه السلام .]^(٥)

ويذكر ابن أبياس تحت عنوان (ذِكر مَنْ كان بمصر من الحكماء في أول الدهر) : [قال الكندي : كان بِـ (مصر) من الحكماء "إدريس" .. وقد جمع بين النبوة والحكمة .]^(٦)

ويذكر الشيخ/ عبد الوهاب النجار : [وأقسام "إدريس" وَمَنْ معه بِـ (مصر) .]^(٧)

ويذكر يعقوبى : [إن "إدريس" .. عاش في صعيد مصر .]^(٨)

ويذكر ابن جُلجل : [قال أبو معشر : وكان مَسْكَن "إدريس" .. صعيد مصر .]^(٩)

ويذكر ابن أبي أصيبعة : [وعند العرب أن "إدريس" مَوْلده بِـ (مصر) .. وقال أبو معشر : وكان مَسْكَنه صعيد مصر .]^(١٠)

ويذكر ابن العبري : [والعرب تسميه "إدريس" .. الساكن بصعيد مصر الأعلى .]^(١١)

وفي تفسير المراغي : [وأما إدريس .. فهو موضع التحلة والاحترام لدى "قدماء المصريين" .]^(١٢)

□ إذن .. لا شك أن "إدريس" مصري .

وقد وُلِدَ بمصر .. وعاش بمصر .

وتوجّه بدعوته إلى : (قدماء المصريين) ..

*

- | | |
|---------------------------------------|--|
| (١) إخبار العلماء بأخبار الحكماء/ ص ٢ | (٢) أخبار الدول وآثار الأول/ ص ٤٣ |
| (٣) مع ٢ ص ٦٧١ | (٤) روح المعاني ٣٠٧/٦ |
| (٥) الفضائل الباهرة ص ٨٥ | (٦) بدائع الزهور قسم ١ ج ١ ص ٣١ |
| (٧) قصص الأنبياء ص ٢٦ | (٨) جامعي : ابن عربي ٤٥/٢ |
| (٩) طبقات الأطباء ص ٦ | (١٠) عيون الأنباء ص ٣٢-٣١ |
| (١١) تاريخ مختصر الدول ص ٦ | (١٢) تفسير .. آ. مصطفى المراغي ج ١ ص ١٧٧ |

(٢)

أَوَّلُ وَأَقْدَمُ (الأنبياء) و(الرُّسُل)

☆ فأمّا عن كونه (أَوَّلُ وَأَقْدَمُ) الأنبياء .

يذكر ابن خلدون : ["إدريس" .. هو (أَقْدَمُ) الأنبياء . ^(١)]
ويذكر القرطبي : [وكان "إدريس" .. (أَوَّلُ) مَنْ أُعْطِيَ النُّبُوَّةَ . ^(٢)]
ويذكر ابن سعد : [عن ابن السائب قال : (أَوَّلُ) نَبِيٍّ بُعِثَ .. "إدريس" . ^(٣)]
ويذكر أيضاً : [وعن ابن عباس قال : أَوَّلُ نَبِيٍّ بُعِثَ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ آدَمَ .. "إدريس" . ^(٤)]
وفي دائرة معارف القرن العشرين : ["إدريس" هو (أَوَّلُ) مَنْ أُعْطِيَ النُّبُوَّةَ مِنْ وَلَدِ آدَمَ . ^(٥)]
ويذكر الطبري : [وعن ابن اسحاق : كان "إدريس" (أَوَّلُ) بَنِي آدَمَ أُعْطِيَ النُّبُوَّةَ . ^(٦)]
ويذكر عفيف طيارة : [ومُخْلَصَةُ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ فِي "إدريس" .. أَنَّهُ (أَوَّلُ) مَنْ نَزَلَ عَلَيْهِ الْمَلَكُ (جبريل) بِالْوَحْيِ . ^(٧)]

☆ وأمّا عن كونه (أَوَّلُ وَأَقْدَمُ) الرُّسُل .

يذكر ابن قتيبة : [ذكر وهب عن ابن عباس : (الرُّسُلُ) . إلخ .. منهم "إدريس" . ^(٨)]
وفي دائرة معارف البستانى : [وأمّا ترجمة "إدريس" على قول العرب .. فهي أَنَّهُ (أَرْمِيلُ) مِنْ اللَّهِ نَبِيًّا وَنَذِيرًا . ^(٩)]
ويذكر أبو حيّان في تفسيره : [و "إدريس" .. (أَوَّلُ مُرْسَلٍ) بَعْدَ آدَمَ . ^(١٠)]
كما يذكر النسفي في تفسيره : ["إدريس" .. هو (أَوَّلُ مُرْسَلٍ) بَعْدَ آدَمَ . ^(١١)]
ويذكر الألوسي : ["إدريس" .. هو (أَوَّلُ مُرْسَلٍ) بَعْدَ آدَمَ . ^(١٢)]

□ إذن .. فـ (نَبِيٌّ الْمُرْسَلِينَ الْقَدَمَاءُ) .

كان أَوَّلُ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ ..

*

(١) العبر ٧٣٤/١	(٢) الجامع لأحكام القرآن/١١/١١٧
(٣) الطبقات الكبرى/١/٤٤	(٤) السابق/١/٤٠
(٥) مع ١/ص ١١٩	(٦) تاريخ الطبري/١١/١٧٠
(٧) مع الأنبياء في القرآن/٦	(٨) المعارف/٥٦
(٩) مع ٢/ص ٦٧١	(١٠) البحر المحيط/٦/١٩٨
(١١) مدارك التنزيل/٣/٢٣٤	(١٢) روح المعاني/١٦/٩٦

(٣)

(العصر) الذى عاش فيه "إدريس"

يذكر الإمام/ الفخر الرازى : [كان "إدريس" عليه السلام سابقاً على "نوح" .. على ما ثبت فى الأخبار .]^(١)

ويذكر ابن قتيبة : [قال وهب : إنَّ "نوحاً" أَوَّلَ نَبِيٍّ بَاءَ الله بَعْدَ "إدريس" .]^(٢)

ويذكر ابن كثير : [وعن عبد الله بن عمر : أنَّ "إدريس" .. أقدم من "نوح" .]^(٣)

ويذكر د. الفيومي : [عبارة الشهرستاني تُفيد أنَّ "إدريس" .. مُتَقَدِّمٌ على "نوح" .]^(٤)

ويذكر ياقوت الحموى : [وحكى ابن زولافى^(٥) أنَّ "إدريس" عليه السلام .. قَبِلَ "نوح" وقبل (الطوفان) .]^(٦)

ويذكر ابن ظهيرة : [إنَّ "إدريس" عليه السلام .. قبل "نوح" و(الطوفان) .]^(٧)

ويذكر القفطى : [قال ابن جُلُحَل : كان "إدريس" .. قبل (الطوفان) .]^(٨)

ويذكر ابن أبى أصيبعة : [وأما أبو معشر البلخى .. فإنه يذكر فى (كتاب الألف) أنَّ "إدريس" .. كان قبل (الطوفان) .]^(٩)

*

ملاحظات :

هل كان "قدماء المصريين" على عِلْمٍ بذلك (الطوفان) وأحداثه ؟؟

تشير بعض الدلائل إلى ذلك .. ومنها :

(١) يذكر سونيرون : [قال أفلاطون^(١٠) : كان "صولون" يقول : إنَّ أحدَ الشيوخ من كهنة معبد "سايس" فى مصر ، قد قال له - عندما سأله عن أمر (الطوفان) - : ما من شئ عظيم أو عجيب وقع فى أىِّ مجال من المجالات فى أىِّ قُطر ، إلَّا وذُكر - منذ أمدٍ طويل - مكتوباً أو محفوظاً فى معابدنا .]^(١١)

وتُضيف "دائرة معارف الدين" عمَّا تمَّ فى نفس هذا اللقاء .. تحت مادة (Flood) - : [وحسب قول حكماء المصريين لوصول : إنَّ الجنس البشرى سبق أن عانى من الفناء والدمار بعدة طُرُق

(٢) المعارف : ص ٢١

(٤) فى الفكر الدينى الجاهلى : ١٢٢

(٦) معجم البلدان : ٤٠١/٥

(٨) إيجير العبداء : ص ٦ - وانظر أيضاً : ص ٢٢٨

(10) Platon . Timée . 22-23

(١) تفسير/ الفخر الرازى : ٣٨٨/٤

(٣) تفسير : ابن كثير : ١٢٧/٣

(٥) فضائل مصر وأخبارها : ص ٧١

(٧) الفضائل الباهرة : ١٥٤

(٩) عبود الأنبياء : ص ٣١

(١١) كهان مصر القديمة : ص ١٢٤

.. وقد كان (الماء) إلخ وسيلة مُعظم هذه الكوارث. إلخ^(١)

وحديث بالذکر أيضاً .. أننا نجد في المأثور الديني أن نبي "المصريين القدماء" قد تنبأ بحدوث هذا "الطوفان".
يذكر ابن جليل: [قال أبو معشر: و"إدريس" هو أول من أنتدب (الطوفان) .. ورأى أن آفة سماوية
تلمح بالأرض من (الماء) إلخ .]^(٢)
ونفس هذا القول يرده "ابن أبي أصيبعة"^(٣) و"ابن العري"^(٤) و"القفطي"^(٥). إلخ

(٢) كَيْفِيَّةُ حَدُوثِ (طُوفَانِ نُوحٍ) .. وَمُسَبِّبَاتُهُ :

في كُتُبِنَا الْمُقَدَّسَةِ أَنَّ ذَلِكَ "الطُوفَانُ" كَانَ لَهُ مَصْدَرَانِ :








- من السماء (الأمطار) .
- ومن الأرض (تفجّر الينابيع) .

ففي التوراة :

[وصارت مياه "الطوفان" على الأرض إلخ .. في ذلك اليوم ، انفجرت كل ينابيع الغمر
العظيم .. وانفتحت "طاقات السماء" .. وكان المطر على الأرض إلخ .] - تكوين: ١٧-١٠٧
ونفس القول في القرآن الكريم :



﴿ ففتحنا (أبواب السماء) بماء منهير .. وفجرنا الأرض عيونا . ﴾ - القمر: ١١-١٢

وفي "كتاب الموتى"^(٦) حديث عن "الطوفان" .. وأنه أيضاً كان له مَصْدَرَانِ : سماوي وأرضي !
بل .. ويُذهلنا أن نجد نفس التعبير القرآني ، بتزول المطر من "أبواب" في السماء (!!)

						
ون	عوى	بت	عوى	كيح	بر	نشن
أبواب	أبواب	السماء	أبواب	ماء الطوفان	ذلك (الذي)	يسير
الارضين						

(يسير للطر)^(٧)

من أنبأ "المصريين القدماء" أن للسماء .. (أبواب) ١٩٢
بل .. ومنها يَتَزَوَّلُ ماء "الطوفان" .. تماماً كما جاء في "القرآن" (!!!)

- (٢) طبقات الأطباء والحكماء/ ص ٦٤ (١) The Encyclopedia of Religion , Mircea Eliade , Vol . 5 , P.356
(٣) عيون الأنبياء/ ص ٣٢ (٤) تاريخ مختصر الدول/ ص ٧
(٥) إخبار العلماء/ ص ٢٢٨ - وانظر أيضاً: ص ٢٢٨ (٦) The Egyptian Book of the dead. W.Budge, P.91-92
(٧) اللفظ: () .. يترجمه "والس بدج" : مَطَرٌ (مُفْرَعٌ / مُرْعَبٌ) .. كتاب الموتى/ ص ٩٢
وفي قاموس د. بدوي وكيس (ص ١٢٠) يُترجم : جَوَّ عاصِفٍ (مُخْتَدِمٌ / هَالِجٌ فِي غَضَبٍ وَتَغْلِيظٍ) ..
وفي قاموس تولكر (ص ١٤٠) يُترجم : عاصفة حادة غاصبية، زوبعة هالجة .. وأيضاً : كَارَةٌ داعية .
• كما تعمل معنى "العقاب الإلهي" ..
فمنه: () (نشن ت) .. بمعنى : (قضاء "إلهي" / دينونة) .. قاموس تولكر/ ص ١٤٠

(١) سبق أن ذكرنا ما قاله كهنة مصر للفيلسوف الإغريقي "صولون" - عندما سألهم عن أمر (الطوفان) - .. ويواصل أفلاطون رواية ما حدث فيقول: [ثم يستطرد الكاهن الشيخ في بيانه: إن هناك كوارث متصلة تحوّب وجه الأرض، وأنها لتخلّث في الأجناس خلطاً وتغيّراً، وقد تهدم حضارة لتقيم مكانها أخرى إلخ .. ولكن (مصر) ، بخصائصها الجغرافية والمناخية .. لا تخضع لهذه القاعدة شبه العامة .. وهذا هو السبب في أن التقاليد القديمة، قد حفظت في هذا المكان.]^(١)

(٢) أثبتت الكشف الأثرية الحديثة - بما لا يدع مجالاً لذرّة شك - .. تواصل الجنس البشري وحضارته في (مصر) ، دون أي انقطاع .. منذ العصور الحجرية القديمة ، وحتى العصر "الحجري الحديث" - (حوالي ٦٠٠٠ ق م) - مروراً بكلّ العصور التالية .. حتى بداية الأسرات الفرعونية .

فالقول إذن .. بأن (طوفان نوح) قد دمرّ العالم كلّهُ ، بما فيه مصر والمصريين .. هو قولٌ يتفَنَّدُ في حلق العقل .. ويأبى أن يُزَدَّرَهُ .

وهذا الصّدام بين حقائق العلم الحديث - المؤكّدة تأكيداً تامّاً - .. وبين ما رانَ في العقول طويلاً من مأثورات ميتولوجية اتّخذت شكل التوابيت الدينية .. لعلّ من أهمّ أسبابه تلك الأطرار التي مرّ بها النصّ "التوراتي" - بما فيه قصّة نوح - .

(١) فنحن نعلم أن "التوراة" التي أنزلها الله على موسى ، قد تمّ حفظها في صندوق - عُرف باسم "تابوت العهد"^(٢) - .. وهذه النسخة الموسوية قد فُقدت .

ويذكر د. أحمد شلبي: [ويقرّر التاريخ أن موسى كتب نسخة "التوراة" ووضعها مع اللوحين في التابوت (خروج/ ٢٥: ٢١) .. ومرّت الأيام ، وظهر في بني إسرائيل كثير من الفجرة والكفرة .. حتى جاء عهد "سليمان" (٩٦٠-٩٢٥ ق م) ، وفتح "التابوت" فلم توجد به نسخة "التوراة" .. وقد جاء ذِكر ذلك في الكتاب المقدس (الملوك الأول/ ٨: ٩)] .^(٣) .. ويستطرد قائلاً: [وحذّث بعد "سليمان" أحداث دينية عجيبة ، وصلت إلى الرذّة وعبادة الأوثان .. وتعرّض "بيت المقدس" للسلب والتدمير عدّة مرّات إلخ .. ولم يبقَ هناك ذِكر لـ (التوراة) ولا صِلَة بها .]^(٤)

ثم في عهد الكاهن "عزرا" (٤٥٠ ق م) تمّ جمع "التوراة" من شفاة الحفّة^(٥) .. ثم حدث في هذه النسخة الجديدة أمر له أهمية وخطورة بالغة ، وهو إضافة "تفسيرات" حُثِرَت بين سطور النصّ الأصلي ، ثم تكرر الأمر في عهود لاحقة .. ثم - وهنا مكّن الخطورة - دخلت هذه "الإضافات" في صلب النصّ الأصلي^(٦) .
• وبالنسبة لقصّة (طوفان نوح) التي تعنينا الآن ، لا شك أن تلك "الإضافات التفسيرية" - التي اندمجت في نصّ "التوراة" التي بين أيدينا اليوم - كان لها أثرها في الإيجاء بشمولية وعالمية هذا (الطوفان) .

(١) كهّان مصر القديمة/ سونيرون/ ص ١٢٤

(٢) في سفر التثنية (١٠: ٣١) : [وكتب موسى هذه "التوراة" .. وسلّمها للكهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب .]

(٣) و(٤) مقارنة الأديان/ ج ١/ ص ٢٥٤ (٥) السابق/ ١/ ص ٢٥٩

(٦) اليهود: د. عبد الحليم شلبي/ ص ١٦٤ - وانظر أيضاً: دراسة الكتب المقدسة/ بوكاي/ ص ٢٦

(٢) يُضاف إلى ما سبق .. أنَّه تمَّسَّد (الترجمات) للنصِّ التوراتيِّ عِبر العصور المختلفة .
 فنحن نعلم أن "التوراة" قد نزلت في الأصل مكتوبة بالحروف "المعبرية" (١) .. وربما أيضاً باللغة المصرية (٢) .. كما أننا نعلم أن اليهود قد بذلوا "لغتهم" عِدَّة مرَّات عِبر تاريخهم - وحسب الشعوب التي كانوا يقيمون بينها .. وعندما أعاد "عزرا" جَنَع "التوراة" كانت هذه المرة باللغة "العبرية" - (التي هي أصلاً لغة كنعان) (٣) .. ثمَّ في العصر البطلمي تمَّت ترجمة النصِّ العبري إلى اليونانية - وهي الترجمة المعروفة بـ "السبعينية" - والتي يُخيم المؤرخون على أنها كانت ترجمة غير دقيقة (٤) .. وهذه الترجمة تركيبة هي التي أخذ عنها عديد من الترجمات الأخرى [إلى القبطية (في ٣٢٠ م) (٥)، وإلى اللاتينية (في ٣٨٦ م) (٦)، ثمَّ العبرية (٧٥٠ م) نقلاً عن النسخة اللاتينية (٧)] .. ومن الجدير بالذكر أن تلك النسخة العبرية التي أخذت عنها "الترجمة السبعينية" قد قِيلَتْ (٨) .. ثمَّ مع الشتات اليهودي في البلدان المختلفة - نسي اليهود لغتهم العبرية (٩) .. ثمَّ في القرن التاسع الميلادي ، أعاد اليهود كتابة التوراة بالعبرية - ربما ترجمة من النصِّ اليوناني "السبعينية" (١٠) - .
 وهكذا نرى أنَّ هذه (الترجمات) المتوالية ، على النصِّ الأصلي (١١) .. يُضاف إلى ذلك "العاطفة الدينية" لدى المُرجمين التي تميل غالباً إلى التضخيم والتهويل من شأن كُلِّ حدث مقدَّس .
 (٣) ثمَّ يُضاف إلى ذلك كله دور "المفسرين" للنصوص المقدَّسة ، وإضافتهم للمزيد والمزيد من التضخيم والتهويل لما يفسرونه من أحداث الكتاب المقدَّس .. يذكر جيمس فريزر : [وقد لعب الخيال اليهودي في العصور المتأخِّرة بحكاية (الطوفان) ، فأضاف إليها تفاصيل جديدة تميل في الغالب إلى المبالاة] (١٢)

- (١) وهذا شيء بهيمي ومنطقي .. إذ لم تكن هالك "حروف كتابة" في العالم أجمع آنذاك غير هذه "المعبرية" - باستثناء الكتابة المسماة التي كانت تستخدم في منطقة العراق .. علاوة على أنها هي التي تعلَّمها "موسى" على أيدي الكهنة في مصر .
 ويذكر د. فؤاد حسين على - في كتابه (التوراة المعبرية/ ٥٩٠-٥٧٠) [قال في "موسى" - كما تذكر المصادر اليهودية وغيرها - قد وُلِد في مصر ونسبوا باسم مصري وتكلَّم المصرية وتلقَّها قراءة وكتابة ، وتلقَّ ثقافة مصرية (أعمال الرُّسل ٢٢: ٣)] .. ومن هنا نرى أن صُلِّح موسى وتوراته ، لم تكون في العبرية - التي لم تكن قد ظهرت بعد - بل ، المصرية القديمة [(٢) أنظر : التوراة المعبرية/ ص ٥
 (٣) أنظر : التوراة المعبرية/ ص ٥
 (٤) ويذكر سارتون : [والبطريرك الأول من هذه "الترجمة السبعينية" وهو "الفوراة" ، مكتوب يونانية - يهودية تركيبة جداً .. ويرى المتخصصون أن تلك اللمعة أقرب لأن تكون مصرية منها إلى الفلسطينية .. وأنا لم أقرأ منها إلا "سفر التكوين" .. وقد أفرغني لُغته . - [موسوعة : تاريخ العلم/ ٣٧٧/٤ - ويذكر د. رايد : أنَّ "الترجمة السبعينية" فهي ليست دقيقة .. ولعلَّها فيها نقصاً واضطراباً عند ترجمة الألفاظ "العبرية" إلى "الإغريقية"] .. [فصوص من الشرق/ ج ١/ ص ٢
 ويذكر د. فؤاد حسين على : في "الترجمة السبعينية" ليست في مجموعها دقيقة .. بل .. حيث نجد الترجمة (حزق) - غير دقيقة .]
 - [يذكريات المعبرية/ ص ٢٧ - وأنظر أيضاً كتابه : التوراة عرض وتحليل، ص ٥٧
 (٥) و(٧) موسوعة : تاريخ الأقباط/ زكي شونودة/ ٩٣ - [موسوعة تاريخ العلم/ سارتون/ ٣٨٢/٤
 (٦) أنظر : التوراة عرض وتحليل، د. فؤاد حسين على/ ص ٦٩ - وأنظر أيضاً : دراسة الكتب المقدَّسة - بوكاي ، ص ١٨
 (٧) أنظر : موسوعة تاريخ العلم/ سارتون/ ٣٧٧/٤
 (٨) ويذكر سارتون : [إنَّ أقدم نصٍّ غيري للتوراة يرجع لعهد إلى القرن التاسع بعد الميلاد . - [دراسة/ ص ١٨
 ولذا ، يذكر سارتون : ومهما يكن الأمر ، فإن "الترجمة السبعينية" نفيسة كلَّ النفاسة بالنسبة لنا .. لأنها عُمِّت قبل تنسيق "النصِّ المعبري" . - [موسوعة تاريخ العلم/ ٣٧٧/٤ - ويذكر أيضاً : [إنَّ المخطوطات اليونانية أقدم من "المخطوطات العبرية" حتى القديمة منها ، بقرون عديدة .. ولذا نجد علماء التوراة يرجعون إلى "الترجمة السبعينية" (في "توراة يونانية" - التي يجنون فيها نصوصاً عبرية قديمة ، لا يجدها اليوم في التوراة المكتوبة بالعبرية . - [موسوعة تاريخ العلم/ ص ١٥
 (١٠) يذكر الباحث اليهودي بوكاي : بهذا تنضج ضخامة ما أضافه الإنسان إلى "العهد القديم" .. وبهذا أيضاً ، تتبين التحولات التي أصابت نصَّ "العهد القديم" الأوَّل ، من نقل إلى نقل ، ومن ترجمة إلى أخرى .. بكلِّ ما ينجم من ذلك من "تعديلات" جاءت على أكثر من ألفي عام . - [دراسة/ ص ١٩
 (١٢) الفولكلور في العهد القديم/ ١١٦/١

فإذا ما عُذنا إلى حديثنا عن (طوفان نوح) - كما وردت قصته في "التوراة" - .. يمكننا أن نتبين - بعد كل تلك الظروف التي مرَّ بها النصُّ التوراتي - السبب الذي جعل الصورة تبدو وكأنه طوفان عالمي .. بصورة تعارض مع المنطق ، بالإضافة إلى تعارضها مع نتائج الكشف العلمية الحديثة ، الأمر الذي حدا بأحد مفكرى اليهود إلى القول : [إن رواية (الطوفان) في العهد القديم غير مقبولة في إطارها العام ، وذلك لأن العهد القديم يعطى للطوفان طابعاً عالمياً . إلخ .. وعلى ذلك ، ومن وجهة النظر التاريخية ، فيمكن تأكيد أن رواية الطوفان - مثلما تقدّمها التوراة - .. تتناقض بشكل واضح مع المعارف الحديثة .]^(١)

ثم بقيت الإشارة أيضاً إلى أثر اليهود في نقل هذه الصورة - عن طوفان نوح - إلى العالم الإسلامي .. عن طريق ما دخل من "الإسرائيليات" في كتب التاريخ والتفسير القرآني وغيرها .

*

وإلى من لم يزل يعتقد بأن (طوفان نوح) قد أغرق العالم أجمع .. نسوق بعض الأسئلة البديهية الآتية :

(١) كيف جمع النبي "نوح" - من موطنه في جنوب العراق - (كل أنواع حيوانات الأرض !) ليضعها في سفينته ؟ .. ومنها كما نعلم حيوانات لا تعيش إلا في المناطق القطبية الجليدية ، في أقصى أصقاع سيبيريا وما بعدها أو في الأمريكتين أو في بلاد الإسكيمو .. وحيوانات أخرى لا تستطيع العيش إلا في أجواء شديدة الحرارة كالمناطق الاستوائية بأفريقيا وغيرها .
ثم ، ما (حَجَم) هذه السفينة (١) التي تستطيع حمل (٢) كل أجناس (٣) حيوانات العالم ؟؟

ملحوظة: "التوراة" أبعاد تلك السفينة على النحو التالي: [اصنع لنفسك فلكاً: إلخ .. وهكذا تصنعه : ثلاث مئة ذراع يكون طول الفلك ، وخمسين ذراعاً عرضه . إلخ .] تكوين ١:١٤-١٥
أي حوالى : (١٣٥) متر طول × ٢٢,٥ متر عرض (٤) - فقط - .

(٢) ما ذنب (المؤمنين) في جميع بقاع الأرض خارج موطن نوح بالعراق - في مصر مثلاً أو الهند إلخ - حتى يُغرقهم الطوفان ويغنيهم ، ويُجلبهم بالعذاب مع العُصاة من "قوم نوح" ؟؟ ألا يتعارض هذا مع قوله تعالى : ﴿ ولا تَزِرْ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى . ﴾ - الإسراء: ١٥
وفي التفسير (ابن كثير/ ٢/ ٢٨) : [أى لا يجعل أحد ذنب أحد ، ولا يجني جان إلا على نفسه . إلخ .. وهذا من عدل الله ورحمته بعباده .]

وإذا افترضنا أن جميع البشر آنذاك كانوا هم أيضاً عُصاة .. فما ذنبهم إذ لم تصلهم دعوة نوح ؟؟ ألا يتعارض هذا الأمر أيضاً مع قوله تعالى : ﴿ وما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ - الإسراء: ١٥
وفي التفسير (ابن كثير/ ٢/ ٢٨) : [وهذا إخبار عن عدله تعالى ، وأنه لا يعذب أحداً إلا بعُد قيام الحجة عليه .. بإرسال (الرسول) إليه .]

(١) دراسة الكتب المقدسة: بوكاي/ ٢٤٦-٢٤٧ (٤) أنظر : قاموس الكتاب المقدس/ ص ٦٩٧

(٢) من القرآن ، أنه حمل من كل صنف "زوجين" (هود/ ٤٠) . وفي التوراة "سبعة أزواج" (تكوين: ٣: ١٠-١١) .

(٣) ملاحظة : بيع عدد "أنواع" الحيوانات - المعروفة حتى الآن - مليون نوع . - التطور والسجل الحفري/ ص ٣٥

والواقع أن المسألة أبسط وأوضح من ذلك بكثير .. إذ لم يكن ذلك (الطوفان) النوحى إلا مجرد طوفان محليّ ، شمل بقعة محدّدة من الأرض .. وهى التى فيها الأقوام الذين توجّه إليهم "نوح" بدعوته - فى موطنه بالعراق (بابل) - .

وهذا ما ذكره أيضاً - منذ القسّم - علماء الهند وفارس .. يذكر ابن خلدون : [واعلم أن "الفرس" و"الهند" لا يعرفون (الطوفان) .. وبعض "الفرس" يقولون : كان "بابل" فقط .]^(١)

• والقرآن أيضاً يؤكد ذلك .. وهو أن (الذين غرقوا) هم فقط .. قوم نوح - فى موطنه بالعراق - .. الذين كذبوه وآذوه .

﴿ فكذبوه .. فانجيناهم والذين معه فى الفلك ، وأغرقنا (الذين كذبوا) . ﴾ - الأعراف ٦٤

﴿ فكذبوه .. فنجيناهم ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلافت ، وأغرقنا (الذين كذبوا)

بآياتنا .. فانظر كيف كان عاقبة (المُنذرين) . ﴾ - يونس ٧٢

أى أن العاقبة - بالفرق - كانت فقط .. على المُنذرين (الذين أنذرهم نوح ، فكذبوه) .

﴿ وأوحى إلى نوح . إلخ .. ولا تخاطبني فى الدين ظلموا ، إنهم مُغرَقون . ﴾ - مريم ٣٦-٣٧

﴿ فأوحينا إليه أن اصنع الفلك . إلخ ولا تخاطبني فى الدين ظلموا إنهم مُغرَقون ﴾ - البقرة ٢٧

أى أن (الذين ظلموا) - من قوم نوح - هم فقط .. الذين غرقوا .

ولذا ، يذكر الباحث اليهودى/ بوكاى : [وعلى ذلك ، فالقرآن يقدّم كاريئة (الطوفان) .. باعتبارها عقاباً نَزَلَ بشكلٍ خاص على (شعب نوح) .]^(٢)

وهذا واضحٌ كلِّ الوضوح فى قوله تعالى : ﴿ (قوم نوح) لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ (أغرقناهم) . ﴾

وفى هذه الآية القرآنية الأخيرة ، تفصيلاً جديدة لها أيضاً دلالة هامة .. إذ يقول تعالى :

﴿ (قوم نوح) لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ (أغرقناهم) .. وجعلناهم ل"الناس" آية . ﴾ - الفرقان ٣٧

أى أنه بعد الطوفان وغرق "قوم نوح" ، كان هنالك (ناسٌ) آخرون أحياء - فى بلاد ومُدُن أخرى - حولهم - بقوا ليُعظوا بما حدث لـ "قوم نوح" (الذين جعلهم الله للناس "آية" - أى : عبرة وعظة -) .

كما أن القرآن الكريم لم يذكر إطلاقاً أن جميع العالم قد غرق .. ولا توجد فيه آية - بل كلمة - واحدة ، تشير إلى ذلك .

يذكر الشيخ/ عبد الوهاب النجار : [هل عمَّ (طوفان نوح) الكرة الأرضية ؟؟
والجواب أن بعض العلماء يميل إلى عمومته ، ويميل فريق آخر إلى أن (الطوفان) لم يكُ عاماً .. بل ، طغيان الماء كان على الجهة التى يسكنها "نوح" وقومه .. وأما بقية بقاع الأرض ، فلم يعمّها هذا (الطوفان) .] إلخ

(١) المعبر/ مج ٢/ قسم ٣، ص ١٠ - وانظر أيضاً : تاريخ الطبرى ١٩٢/١ و : قصص الأنبياء ابن كثير ١٢٨، ٢

(٢) دراسة الكُتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ٢٩٦

وعلى كلِّ حال ، فالمسألة ليس فيها نصٌّ من القرآن .. بل كُلُّ ما فيه من هذه الناحية ، أن (قوم نوح) كفروا وعصوا الرسول .. فأغرقهم الله بالطوفان ، ونجَّى نوح معه في الفلك إلخ .. فالخصوص محتملٌ .. والذي أميل إليه ، أن يكون خاصاً .^(١)

ويذكر أيضاً : [إن القرآن لم يتعرض لعموم كُلِّ الأرض بالطوفان .. والقرآن لم يذكر إلاَّ إغراق (قوم نوح) وامرته ، ولم يذكر عموم الأرض .]^(٢)

ويُضيف الباحث الإسلامي السورى/ عفيف طَبَّارة : [والظاهر فى القرآن والحديث الشريف ، يدلُّ على أن (الطوفان) كان شاملاً لـ " قوم نوح " فقط .]^(٣)

ويأتى دور (المؤرخين) وأبحاثهم .

حيث وردت "قصة الطوفان" فى الآداب العراقية القديمة (السومرية والبابلية) .. وعنها يذكر د. سامى الأحمد : [ولنا أن نعرف بأن (الطوفان) من الأحداث التى تركت أثراً واضحاً فى العقليَّة البابليَّة . إلخ .. ولابد وأنه كان فيضاً محلياً ، مدمراً غير اعتيادى ، ظلَّت ذكره باقية بين طليَّات النصوص التاريخية والأدبية التى ورَدتنا .]^(٤)

كما يأتى دور علم (الجيولوجيا) أيضاً ليقول كلمته .

يذكر فريزر : [فى محاضرة بـ "مجلس المعهد الملكى للأنتروبولوجيا" ، كان موضوع محاضرتى هو القصة المألوفة عن (الطوفان) الكبير .. وكان "هكسلى" نفسه - عالم الجيولوجيا الكبير - قد ناقش هذه القصة فى مقال له ، وكان هدفه أن يبيِّن أن هذه الحكاية - التوراتية - التى يُنظَر إليها بوصفها سجلاً لحادثة "الطوفان" (الذى أغرقَ العالم كُلَّهُ ، وكُلُّ ما كان يعمره على وجه التقريب من إنسان وحيوان) ، تتعارض مع أبسط مبادئ "الجيولوجيا" .. ومن ثمَّ ينبغى رفضها على أساس أنها أسطورة . إلخ]^(٥)

ثمَّ يأتى دور (الكشوف الأثرية) لتقدِّم القول الفصل فى هذا الأمر .

يذكر توينبى : [و(الطوفان) الذى ورَد وصفه فى الآداب الدينيَّة اليهودية ، أصبح - كما جاءت قصته فى "التوراة" - كلمة مألوفة فى المجتمع الغربى .. إلى أن أتى عُلماء الآثار المعاصرون وكشفوا عن أصل الواقعة .. واستخلصوا أيضاً الدليل المباشر على حدوث فيضان معين عفيف إلى درجة غير عادية ، من وجود طبقة سميكة خلفها "الفيضان" بين الطبقات الأولى والطبقة الأخيرة التى رسبت نتيجة لسكنى الإنسان فى مواقع طائفة من مراكز الثقافة السومرية . إلخ]^(٦)

(١) قصص الأنبياء/ ص ٣٦
(٢) مع الأنبياء/ ص ٧٢-٧٥
(٣) قصص الأنبياء/ ص ٤٤
(٤) كلكتامش/ ص ٢٣
(٥) الفيلكولور فى المعهد القديم/ ٩٢-٩١/١
(٦) مختصر دراسة للتاريخ/ ١٢٢/١